



بيش شيللي

أحمد شوقي

شعراء القمر

في المشرق والمغرب

بين عشاق الطبيعة وعشاق المرأة

بقلم : حسن فتح الباب

بعنوان « القمر العاشق » ، ولكن القمر فيها أداة مسخرة لغدمة مولاة الشاعر ورداء يكشف عن حسن ما تعرى من مفاتها في شرفة الصيف وتخللته خيوط الضوء . بل ان لنا ذلك الملائكة ديوانا كاملا باسم « عاشقة القمر » .

ويقول صالح جودت في « ليلة الهرم » :
ليلة كاهتامة القدر
كنت فيها أحلى من القمر

فإذا افرانا عطر القديم فرجعنا الى الاندلس وجدنا انه لا يكاد شاعر يصف جمال محبوبته الا ويذكر صنوها القمر مما يرجع الى تائر شعراء العرب لسحر الطبيعة في اسبانيا الاموية ، فردوس العرب المفقود ، فيقول ابن زيدون (١) :

يا أمرا مطلعته المغرب
قدضاق بي في حبك المغرب

ويقول :
يا أبا البدر سناء وسنى
حفظ الله زمانا أظلمك

■ قمر الشعراء في جزر الشمس المشرقة في قمر العشاق الذي نعرفه في ديوان الشعر العربي وعند كثير من شعراء الغرب في القديم والحديث . فالعرب والاوربيون يستلهمون ربات قصيدهم من خلال معاني الصفاء والاشراق والسلام والجمال التي تضفيها غلالة القمر الموشاة الرقيقة على ليالي الحب ، وما اكثر ما عقدوا من مقارنة بين الحبيبة والقمر ، وتغنوا بذكرياتهم العذاب الحارة في ضوءه . فهو في اللوحة الشعرية بمثابة « الخلفية » او هو الوتر الساهر الذي يوقع عليه الشاعر معزوفته لمن اختارها قلبه . وهو طيف الملهمة السابح في الفلك ، فاذا مارنا اليه بالعين الشاعر العاشق فانما يرنو بالقلب الى المحبوب الغائب ، واذا خاطبه مغنيا فانما يخاطب فيه من يهوى . يقول شوقي على قيثارة مجنون ليلي اذ يناجياها :

لست كالسيد لا ، ولا

قمر السيد كالقمر

ويترك لنا على محمود طه قصيدة طريقة انيقة

ان يطل بمدك ليلى فلكم
بت اشكو قصر الليل معك
وما هو ذا ابن زريق البغدادي الشاعر العراقي
يرحل الى الاندلس حيث يستوحى من غريته فيها
قصيدة من عيون شعرنا العربي . يبت فيها حبيبته
التي تشبه القمر حينه الطافي :

استودع الله في بغداد لي قمرا
• بالكرخ • من فلك الازرار مطلقه

أما شعراء القمر في اليابان فهم من عشاق
الطبيعة لا عشاق المرأة . ومن ثم كان شعرهم في
القمر من وحيه لا من وحيها . غير ظالميه ولا
ظالميا . فكلاهما أحق بالفن وحده . ولا ياس أن
يلتقيا أو يتجاورا . بعد ذلك - معا في اطار وحد-
ومن الحق أن شعراء الطبيعة في مختلف الآداب
قد تغنوا للقمر مثل اليابانيين . ولا تثريب عليهم
ان طافت ذكريات الحب أو الطفولة في قصائدهم
طالما كان بطلها القمر . ثم اننا لانستطيع ان
نفصل في الاحداث ما بين منبع الجمال على الارض
ومجلاء في السماء . وأن نفرق بينهما في ميزان
الحب العادل والشوق المقسوم . ولكن الذي لا مفر
من التفريق فيه هو مدى نصيب القصيدة من
النزعة العالمية التي تخلص في قدرتها على الراء
الوجدان الانساني على مدى العصور . وهذه
قصيدة شاعر الطبيعة الانجليزي العظيم بيرسي
بيش شللي (الى القمر) (٢) :

تراك باحت الجبين من عناء
لفرط ماتصعد في اجواز هذا الفضاء
وتضمن التحديق فوق الثرى

مهوما وسادرا بلا رفيق
بين النجوم التي تفردت بمولدها
وانت دائب التحول
كانك عين لم تفر آذ لم تجد شيئا واحدا
يستحق ان تستقر عنده نظرتها
الا ترى الى تلك الابيات كيف تزاد بمرور
الايام اصالة ونضارة •• شبيهة بذلك النقش
الفرعوني الذي قال فيه شوقي :

رب نقش كأنما نفخ العاصف
نح منه اليدين بالامس نفضا
لقد قرأتها اول مرة في الربيع الثامن عشر من
العمر . وهانذا اواجه اعصار الغريف وما زال
عطرها الفواح يضوع في قلبي ولا يكشف لي السر
كله . انها روح شيللي التي كتبت . وهذا
هو فيصل التفرقة بين هذا الشاعر وبين آخر مثل
ابن المعتز في بيته المشهور في وصف الهلال :

انظر اليه كزورق من نضرة
قد اثقلته حيولة من عنبر
فهو اشبه بغانية تعرض في ملهى ليلى : اصباح
بلا روح . واذا كان قد بقي في بطون المصنفات
وما زالت تعيه الذاكرة فذلك لكثرة ما تداوله
الشرح للدلالة - عن قصد أو غير قصد - على
الاعيب النظامين ومهاراتهم اليدوية . اقص
العقلية . فقد تشابه علينا الامر . وعذرتنا انه ما
هكذا شان الشعر . ولقد يصلح سوق هذا البيت
كنموذج لاصطناع النلوين أو استخدام الطباق .
لكنه يقصد اذواق الناشئة اذا سبق بوصفه مثلا
للجمال الفنى في الشعر .
ان القمر في قصيدة شيللي وفي الشعر الياباني

(١) هو الشاعر الكاتب القرطبي الاندلسي ابوالوليد احمد بن عبد الله الشهير بابن زيدون
وزير آل جهور وآل عباد من ملوك الطوائف وصاحب الرسائلين الشهيرتين الجدية والهزلية
المنسوبةين اليه . توفي سنة ٤٦٣ هـ بأشبيلية . وقد اشتهر بتفكره بولادة الاميرة الادبية بنت
المستكفي الاموي التي الهمته رائحة شعره التي مطلقها :

اضحى الثنائي بيديلا من تلاقينا
وناب عن طيب لقيانا تجالينا

وهي من عيون الشعر العربي في الاندلس . وقد صاغ شوقي على متوالها نونيته المشهورة
بمناسبة غريته في موطن ابن زيدون أثناء الحرب العالمية الاولى . مما كان يطلق عليه معارضات
الشعراء . ويحتفل المغرب هذا العام بذكرى مرور ألف سنة على ميلاد ابن زيدون . فيقيم مهرجانا له
في مدينة الرباط العاصمة .

(٢) النص من كتاب « الكنز الذهبي » وهو مختارات من الشعر الانجليزي في مختلف العصور
لمصنفه ف . ت . ب . طبعة جامعة اكسفورد . والترجمة لكاتب المقال .

انظر الآن الى الجبال
المضاء بالقر
أما ثالثهما فهو « شيراو » عابد الجمال في
محراب قمر الصيف وعاشق الجدول الذي يسبح
فيه القمر :

في الصيف تحت ضوء القمر
الجدول اللاء

ينحدر

في دروب ضيقتنا

والطبيعة تعلم بنيتها المخلصين جهرا وسرا ، فاذا
جاء الربيع

تبرجت بعد حياء وخفسر

تبرج الانثى تصدت للذكر (١)

والليل من اخلص أبناء الطبيعة وهو يعشق
مثل امه الضياء . فلا عجب ان يتالق في اغنيته
كلما استدار الهلال . والقمر يعشق الحب ، فلا
غرو ان يزيد في تالقه كلما التام شمل اهل
الهي . يقول « سامبو » :

القمر يتالق للحب

التصنى بسى

دثرى

يردى النائر !

وحيثما يتالق القمر للعب لايعنو بنوره على
العاشقين وحدهم ، ولكنه يحتضن احباب الارض
جميعا لايفرق بين احد منهم ، فكلهم ابناؤه .
يقول « اتسوجين » :

ايها القمر المتالق للحب !

اصغ للفلاح

تحت ذاك الصنوبر

يدرس رزه الحبيب

وربما يطل من عليائه في وجوم ويرسل ضوءه
باردا شجيا اذا راعى قلبا مثل « تايجي » وحيدا
على الارض فارقا في بحر السكون السرمدي الا
من وقع خطاه :

تحت ضياء القمر البارد

الجسر المتيق

روح تخفق لانه ابن الطبيعة الحية ، وهو نفس
تعاور الشاعر ويعاورها اذ يحس فيها رجح خلجاته
الشعورية وومضاته الفكرية . وهو عالم بذاته
يعادل عالم الشاعر الباطن وهو يسرى ويتجول ..
ويقف ويتحول .. ويصعد ويهبط . واذا كانت
آبيات الشاعر الانجليزي العظيم تعمل شجنه
الرومانسي ولا تمكس جمال القمر ، فان قصائد
اليابانيين كلها تصور هذا الجمال تصويرا بالغ
الروعة والبهاء . فالقمر هو الملك الجميل يشق
طريقه ليبلغ الذروة ثم يتربع عليها متخذاً عرشه
بين اغصان اجمل شجرة متالقا مفردا كما يقول
« رانكو » (٢) لايعبا بسقوط الامطار :

امطار ايام مستمرة الهطول

لكن القمر تسدل

خلف احدى الليالي

واستوى على صنوبرية

ويدأ القمر بلا شريك في جماله وجلاله .
ولكنه جواد مضياف .. دارته تحتضن الكون جميعا
حين يهجع الاحياء ويلتمسون بين يديه الراحة من
تباريح النهار في الصيف . فيمد اليهم ضياء
ليتلقاهم في احضانه النورانية .

والشاعر « كيوراي » احب اضياف القمر اليه :

على صخرة الجبل

سمى شاعر اخر

صيف زميل

قمر الصيف

ترى اكان الشاعر « ياشو » هو زميل كيوراي
الذي جالسه على الصخرة في ضيافة القمر ؟
انه مثله من عشاق قمر الصيف والبحر :

نظر على الشلالات الصغيرة

الصافية

تنسل في الامواج

قمر الصيف

وهو مثله من عشاق الجبال المضاء بالقمر :
القيمة السوداء انتشت
وتناثرت في الليل ..

نظر على الشلالات الصغيرة
الصافية

(٢) التصوص الشعريه اليابانية التي اخترناها من ترجمة الاستاذ عدنان بنجاتي في كتابه « رؤية شرقية » .

(٤) هذا البيت لبشار بن برد وان كان ينسخة لابين الرومي بسبب تضمينه له في شعره وكان شهيد الاعجاب ببشار .

وأنا أميرة

يردد سدى خطاى ..

والقمر غص الإهاب فى عينى الشاعر «إيسا»،
بيد انه ولد يوم ولدت أمه الأرض قديما منذ
ملايين الستين ، وعلمته الكتاب وآتته الحكمة ، كما
ورثته الشجوب فى ضوئه ، والشموخ فى جبهته ،
وسخرية الامومة الوداعة من عبث الاطفال بالجمال
العالم فى احضانها والمعبى الذائع من مصدرها :

فوق الجبل

ياتلق البدر الشاحب

ويسخر الآن

من سارق الأزمار

ويدور القمر مع الفصول فتغلب ألوانه واشكاله
ألباب الشعراء اليابانيين ، وتفجر ينابيع الهامهم
نظراته وانتلاقاته وخضواته بين السحاب والغمام .
ويأخذوننا معهم فى عالم الترى لا حد لإبداعه وثرائه ،
فاذا يتلوينا ترقى ونفوسنا وأرواحنا تمتزج بالوجود
وتكاد أن تطلع على بعض أسراره الخفية . وتتلاشى
اصواتنا الأرضية ، ونشعر كأن لنا أجنحة تسبح
بنا فى رؤى نورانية من رفيف أشعة القمر . ألا
يشع لول « تايوتوكو » كل هذه الغوطة ؟ :

ما أكثر الليالى المهيبة

التي نقت فيها

مأخوذين بالقمر الأشقر

ونتخلص من الظهيرة بالنوم

نعم .. ان ساعات القيلولة لاستحق عناء
يقظتنا .. انها ليست من الزمن الجميل الجدير
بنا .. فلنطوها على عجل .. ولننتظر .. فلسوف
يطلع القمر علينا من ثنيات السحب الليلية .
وحيثما تهل طلعتة فلنتبسم فى وجهه ، ولنتلامح
عيوننا ، فكم هو بهي وجميل .. وليغنه شاعرنا
« اونيتسورا » ان استطاع الى تصويره سبيلا :

أنظر وانمجب

أى شاعر يقدر

أن ينحى ريشته

بأله من قمر يديع

ولكن سقوط الأوراق فى موسم الخريف يثقل
قلب « ايسا » ويشجيه ، فيثقل وجوهه وسامه الى
الاعالى .. هناك فوق وجنة القمر ، فيراه قمرنا
باهتا بلا قلب :

قمر اصفر فى الخريف

دونما تأثر

تقف نواطير الحقول

بأديها عليها الضجر

أما « يوسون » فهى الخريف مزهرا متلألئا ..
« يوسون » لايشكو ، لانه يرى الوجود جميلا ،
وكل همسة أغنية .. كل ورقة عشب .. كل
حشرة :

قمر لامع فى الخريف

وفى ظل

كل ورقة عشب

همسة حشرة

ويأتى صوت آخر يختلف عن سائر الاصوات
التي استمعنا اليها وسعرتنا بأغانيها فى القمر ..
صوت لايشدو لصاحب الجلالة وانما يريد أن
ينزله من عليائه ويجعله بين أيدي اليابانيين على
الأرض ، اداة تسرهم وتروح عنهم ... ولا يصنع
هذا بالقمر وحده ، وانما بالقصن أيضا .. انه
« سوكان » اسمع اليه يقول :

خذ دائرة البدر

واجمل هذا النمن

مقبضا

ماحلها مروحة ا

ولا تكتمل هذه الباقة الموفقة اليانعة من زهور
الشعر اليابانى اذا لم تضم اليها وردة «باشو» ،
فتضع بها اللمسة الاخيرة فى رسم لوحة القمر
التي أبدعتها ريشة شعراء كبار فى فنهم وفكرهم
قريبين الى انفسنا وان كانت اصواتهم تجيء من
جزر اسيوية بعيدة :

القمر رائع

اخيرا جاءت ، والحمد لله .

الغيوم السوداء

كى تريح اعناقنا

ما ارق وما ابهى .. لقد تعبت اعناقنا من طول
ما اشرابت الى القمر فى اعاليه ، وما هى ذى
الغيوم تاتى فتحجب جبينه الوضاء لعظات نسترد
فيها انفاسنا اللاهثة من فرط ما سكبتناه لهفة
ونشوة لسعره حتى اذا ما عاد بعد انقشاع السحب
عن قريب عدنا الى متابعة موكبه الجميل بانفاس
تتجدد لتردد وتعبد الحسن فى مليكه . ■■

القاهرة - حسن فتح الباب